المحاضرة الخامسة: شعر النقائض

1- تعريف النقائض:

النّقيضة في الشّعر، أن يقول شاعرٌ قصيدةً يهجو فيها شاعراً آخر، طاعناً فيه وفي قومه، ويفخر فيها بنفسه وبقومه؛ فيجيبه الشاعر الآخر بقصيدة، ناقضاً ما جاء به الأوّل من معانٍ وصور، مضيفاً إليها من جانبه مزيداً من الفخر والهجاء، بشرط أن يلتزم الشّاعر الثاني بالموضوع الذي عالجه الأوّل، وبالوزن الّذي اختاره، وبالقافية الّتي بنى عليها قصيدته.[1]

2- نشأة النقائض:

في العصر الجاهليّ: ظهرت النّقائض في العصر الجاهليّ، إلّا أنّها لم تكن كاملة الصّورة، تامّة العناصر، متوافرة الشّروط، إذ بدأت نثراً عادياً، ثمّ تطوّرت إلى الشّعر. وكانت العصبيّة القبليّة هي الدافع الرئيسي للنقائض الجاهليّة، لذا فقد كانت تقوم على المفاخرة بالحسب والنسب، والشّجاعة، والوفاء، وعلوّ الهمّة، وكثرة العدد، دون فحش في القول.[2]

في صدر الإسلام:

نتج عن الصراع الذي احتدم بين المسلمين و الكفار أن احتدمت النقائض الشعرية بين فريقين و على الرغم من أن النقائض الإسلامية تعد امتدادا للنقائض الجاهلية، فإنه أصابها تغيير غير يسير على ألسنة الشعراء المسلمين، و لاسيما من حيث الغاية، و الأسلوب، وبعض المعاني و الألفاظ.[3]

---

[1] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ط1، دار صفاء للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، 2010، ص 40.
[2] المرجع نفسه: ص 40.
[3] المرجع نفسه: ص41.

في العصر الأموي:

تطور فن النقائض في العصر الأموي ويرجع السبب في ذلك إلى:

– كان خلفاء بني أمية عربا، يطربهم المعنى و اللفظ الفائق، ويعجبهم الأسلوب الناضج، و التعبير البديع، و التصوير الجميل، لما فطروا عليه من ذوق حساس، و سليقة مرهفة، و بصيرة نافدة، وذكاء متوقد، و علم غزير، و معرفة بأنساب القبائل و أحسابها، و مفاخرها و مثالبها.[4]

– وكان من وسائل الأمويين في حفظ ملكهم، و الإبقاء على سلطانهم، أن عمدوا إلى إثارة العصبيات وبعث الخصومات، و إحياء ما اندثر من منافسات الجاهلية و أحقادها، ليشغلوا الناس بذلك عن مواثبتهم على الملك، و مساورتهم على السلطان، فعاد الشعراء إلى تسجيل ذلك في أشعارهم، و تصويره في قصائدهم، و شغلوا بالحديث عن أمجاد القبائل و مخازيها.[5]

– الفراغ الذي أخذ يشعر به سكان البصرة و الكوفة بعد أن استقرت القبائل، و خبت نار الفتنة بين علي و معاوية.[6]

– نمو العقل العربي و مرانه على الحوار و الجدل و المناظرة في المذاهب السياسية و العقدية و في الفقه و التشريع.[7]

---

[4] محمد عبد المنعم خفاجي: الحياة الأبية عصر بني أمية، دط، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1973، ص 54.
[5] المرجع نفسه: ص 54.
[6] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ص 42.
[7] المرجع نفسه: ص 42.

3- السمات الفنية للنقائض الأموية:

ويمكن تلخيصها في:[8]

- الطول

- كثيرا ما نجد فيها أدبا صريحا مكشوفا يمزق الأغراض، و يهتك الحرمات، و يقذع إقذاعا تشمئز منه النفوس.

- التأثر بأسلوب المناظرة و العناية بالاحتجاج لتأكيد وجهة النظر

- تحولت النقائض في العصر الأموي من الهجاء الخالص إلى نوع من أنواع التسلية

- تتسم النقائض بالتكرار في المعاني و ما تذكره من الحوادث و الأيام، وذلك نظرا لطول العهد الذي استغرقته المناقضات

- تصور النقائض عددا من ملامح العصر الاجتماعية، كالعصبيات القبلية، و التقاليد الاجتماعية

- في النقائض ثروة لغوية ضخمة.

[8] عادل جابر صالح محمد: تاريخ الأدب العربي القديم، ص45،46.

نموذج من النقائض:

قال الفرزدق من قصيدة يهجوا بها جريرا: [9]

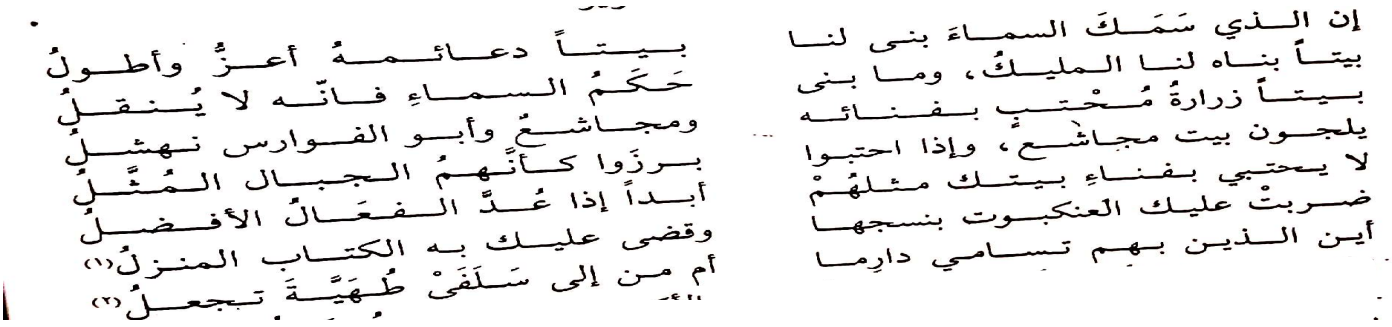

إن الذي سَمَكَ السماءَ بنى لنا
بيتاً بناه لنا المليكُ، وما بنى
بيتاً زرارةُ مُحْتَبٍ بفنائه
يلجون بيت مجاشعٍ، وإذا احتبوا
لا يحتبي بفناءِ بيتك مثلهُمْ
ضربتْ عليك العنكبوت بنسجها
أين الذين بهم تسامي دارِما

بيتاً دعائمهُ أعزُّ وأطولُ
حَكَمُ السماءِ فانّه لا يُنقلُ
ومجاشعٌ وأبو الفوارس نهشلٍ
برزَوا كأنّهمُ الجبال المُثَّلُ
أبداً إذا عُدَّ الفعَالُ الأفضلُ
وقضى عليك به الكتاب المنزلُ(١)
أم من إلى سَلَفَيْ طُهَيَّةَ تجعلُ(٢)

ورد عليه جرير في قصيدة مطولة نذكر منها:[10]

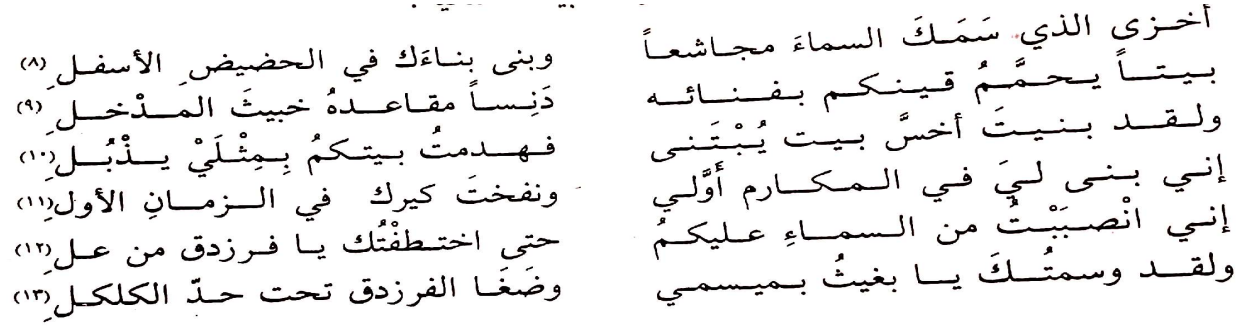

أخزى الذي سَمَكَ السماءَ مجاشعاً
بيتاً يحمَّمُ قينكم بفنائه
ولقد بنيتَ أخسَّ بيت يُبْتَنى
إني بنى ليَ في المكارم أوَّلي
إني انْصبَبْتُ من السماءِ عليكمُ
ولقد وسمتُكَ يا بغيثُ بميسمي

وبنى بناءَك في الحضيضِ الأسفلِ(٨)
دَنِساً مقاعدهُ خبيثَ المدْخلِ(٩)
فهدمتُ بيتكمُ بِمِثْلَيْ يذْبُلِ(١٠)
ونفختَ كيرك في الزمانِ الأولِ(١١)
حتى اختطفْتُك يا فرزدق من علِ(١٢)
وضَغَا الفرزدق تحت حدّ الكلكلِ(١٣)

---

[9] أبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي: كتاب النقائض، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1998، ص 133،135.
[10] المرجع نفسه: ص 156.